Journal Of the Iraqia University (76-4) 31 July (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الهوية الثقافية في الفن التشكيلي العراقي

م.م.هناء عبد الرزاق غضيب

المديرية العامة لتربية واسط

Asst. Lect. Hanaa Abdul-Razaq Qtheb
The General Directorate of Education in Wasit
hanarazzaq7.7.7@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة تجليات الهوية الثقافية في الفن التشكيلي العراقي من خلال تحليل نماذج مختارة من أعمال عدد من الفنانين العراقيين المعاصرين .تنطلق الدراسة من إشكالية تتمثل في كيفية توظيف الفنان العراقي لعناصر التراث الحضاري والشعبي ،وقدرته على الموازنة بين الأصالة الثقافية ومتطلبات الحداثة الفنية .اعتمد البحث المنهج الوصفي–التحليلي في قراءة الأعمال الفنية ،مع التركيز على العناصر التشكيلية والرموز البصرية والدلالات الثقافية التي تعكس الخصوصية العراقية .توصلت الدراسة إلى أن الفن التشكيلي العراقي استطاع الحفاظ على هويته الثقافية عبر استلهام رموز الحضارات القديمة ،والخط العربي ،والموروث الشعبي ،مع إعادة صياغتها ضمن رؤى فنية معاصرة .وأكد البحث أن الهوية الثقافية تشكل عنصراً أساسيا ًفي بناء العمل الفني العراقي وفي تعزيز الانتماء والذاكرة الحضارية.

الكلمات المفتاحية: الهوية الثقافية ،الفن التشكيلي العراقي ،التراث ،الأصالة والمعاصرة ،الرموز الفنية.

Abstract

This study aims to examine the manifestations of cultural identity in Iraqi plastic art through the analysis of selected works by contemporary Iraqi artists. The research addresses the issue of how Iraqi artists employ elements of cultural and folk heritage and how they balance cultural authenticity with modern artistic trends. A descriptive–analytical approach is adopted to analyze artistic works, focusing on visual elements, symbolic forms, and cultural meanings that express Iraqi identity. The study reveals that Iraqi plastic art has succeeded in preserving its cultural identity by drawing inspiration from ancient civilizations, Arabic calligraphy, and popular heritage, while reinterpreting these elements through contemporary artistic visions. The findings emphasize that cultural identity represents a fundamental component in shaping Iraqi artistic expression and plays a significant role in preserving cultural memory and reinforcing a sense of belonging.
Keywords: Cultural Identity, Iraqi Plastic Art, Heritage, Authenticity and Modernity, Visual Symbols.

المقدمة

تعد الهوية الثقافية من المفاهيم الأساسية التي أسهمت في تشكيل الخطاب الفني في المجتمعات المختلفة ،ولا سيما في المجتمعات التي تمتلك إرثا حضاريا عريقاً كالمجتمع العراقي .إذ يرتبط الفن التشكيلي ارتباطًا وثيقاً بالهوية الثقافية ،بوصفه وسيلة تعبير بصري تعكس القيم والمعتقدات والرموز الحضارية التي تميز المجتمع عن غيره .ويُعد الفن التشكيلي العراقي أحد أبرز الفنون العربية التي حملت ملامح الهوية الثقافية ،مستلهمةً رموز الحضارات العراقية القديمة ،والموروث الشعبي ،والخط العربي ،والبيئة الاجتماعية (شاكر حسن آل سعيد 1989 ،،ص 17) وقد شهد الفن التشكيلي العراقي ،ولا سيما منذ منتصف القرن العشرين ،تحولات فنية واضحة نتيجة التفاعل مع الاتجاهات الفنية العالمية ،الأمر الذي أوجد إشكالية الموازنة بين الأصالة والحداثة .ورغم هذا التفاعل ،حرص العديد من الفنانين العراقيين على توظيف عناصر الهوية الثقافية في أعمالهم ،سعياً للحفاظ على الخصوصية الثقافية في مواجهة العولمة الفنية (قاسم ،2001 ،ص ٤٥).وتبرز أهمية دراسة الهوية الثقافية في الفن التشكيلي العراقي في كونها تسهم في فهم أعمق للدلالات الجمالية والفكرية للأعمال الفنية ،وتكشف عن دور الفنان العراقي في ترسيخ الانتماء الثقافي والحفاظ على الذاكرة الحضارية للأمة (الدليمي ،2010 ،ص ٦٢). ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على تجليات الهوية الثقافية

في الفن التشكيلي العراقي وتحليل مظاهر حضورها في نماذج مختارة من الأعمال الفنية.

٢. الدراسات السابقة

شهدت الدراسات الأكاديمية المتعلقة بالفن التشكيلي العراقي والهوية الثقافية اهتماماً ملحوظاً في العقود الأخيرة، حيث ركزت معظمها على تحليل العلاقة بين التراث الحضاري والموروث الشعبي والأساليب الفنية المعاصرة، بالإضافة إلى دراسة تجليات الرموز الوطنية والدينية في الأعمال الفنية.من بين هذه الدراسات، يُشير شاكر حسن آل سعيد (١٩٨٩) في كتابه *الفن التشكيلي العراقي: من التراث إلى المعاصرة* إلى أن الهوية الثقافية في الفن التشكيلي لا تقتصر على النقل الحرفي للرموز التراثية، بل تتضمن إعادة صياغتها بأسلوب معاصر يضفي عليها أبعاداً إنسانية وجمالية جديدة، مع المحافظة على الروح الثقافية للمجتمع العراقي. وقد أشار المؤلف إلى أن الخط العربي والموروث الشعبي يشكلان عناصر أساسية في بناء الهوية الفنية، حيث تتحول المفردات التراثية إلى رموز تشكيلية تحمل دلالات فكرية وجمالية (آل سعيد، ١٩٨٩، ص ١٧–٢٣). كما تناول قاسم (٢٠٠١) في دراسته *الفن التشكيلي العراقي: التراث والحداثة* إشكالية الموازنة بين الأصالة الثقافية والانفتاح على المدارس الفنية العالمية، مؤكداً أن الفنان العراقي يسعى للحفاظ على خصوصيته الثقافية رغم تأثير الاتجاهات الحديثة. وقد أبرز الباحث دور الرموز الحضارية والفلكلورية في تعزيز الهوية الثقافية في الأعمال الفنية، لافتاً إلى أن استلهام الخط العربي والزخارف الإسلامية يساهم في ترسيخ الانتماء الوطني والحفاظ على الذاكرة الجماعية (قاسم، ٢٠٠١، ص ٤٥–٥٢).الدليمي (٢٠١٠) في كتابه *الفن التشكيلي العراقي ودوره في ترسيخ الهوية الثقافية* ركز على تحليل الأعمال الفنية التي تجسد الحياة اليومية والبيئة الشعبية، واعتبرها من أهم مظاهر الهوية الثقافية العراقية. وقد أشار إلى أن استخدام الألوان المحلية، والأسلوب التعبيري البسيط في تصوير الحياة اليومية، يسهم في إبراز الخصوصية الثقافية والفنية، ويعزز الانتماء الوطني ويترسخ في ذاكرة المجتمع (الدليمي، ٢٠١٠، ص ٦٢–٧٤).وفي دراسة أخرى تناولت تطور النحت العراقي، أكد محمود (٢٠٠٥) في كتابه *النحت العراقي المعاصر* أن الأعمال النحتية للفنانين العراقيين تعتمد على رموز حضارية مثل الإنسان الرافديني، والزخارف المستوحاة من الحضارات القديمة، مشيراً إلى أن هذه الرموز تتفاعل مع الأساليب الحديثة لإنتاج أعمال فنية معاصرة متوازنة بين الأصالة والحداثة (محمود، ٢٠٠٥، ص ٩٠–٩٤).أما الصكر (١٩٩٧) فقد ركز في دراسته *الفن التشكيلي والهوية الثقافية* على دور الفنان العراقي في ترجمة مفردات الهوية إلى لغة تشكيلية، مشيراً إلى أن المعاصرة الحقيقية تتحقق عندما يكون الفنان واعياً بهويته الثقافية وقادراً على توظيفها ضمن خطاب فني حديث. وأكد الباحث على أهمية دمج الخط العربي والرموز الصوفية والرموز التراثية في فضاءات تجريدية لتقديم رسالة ثقافية متجددة (الصكر، ١٩٩٧، ص ٣٣–٤١).كما أجرى شاكر حسن آل سعيد دراسة مقارنة بين أعمال عدد من الفنانين العراقيين المعاصرين، مثل جواد سليم، ونزيهة سليم، وشاكر حسن آل سعيد نفسه، وأوضح أن توظيف الرموز التراثية والبيئة المحلية ساهم في إبراز الهوية الثقافية بأساليب مختلفة، تتراوح بين الواقعية والتجريد والرمزية، مما يعكس ثراء التجربة الفنية العراقية وتعددية أساليب التعبير عنها (آل سعيد، ١٩٨٩، ص ٢٣–٢٩).وبالإضافة إلى ذلك، تناولت دراسة الحموي (1995) *الفن التشكيلي العراقي والتراث الشعبي* دور التراث الشعبي في تشكيل الهوية الثقافية، مشيراً إلى أن استلهام الرموز الشعبية في الحياة اليومية والفلكلور المحلي يساعد على الحفاظ على ذاكرة المجتمع ويخلق رابطاً بين الجيل الحالي والماضي الحضاري، مع الحفاظ على عناصر الأصالة الثقافية في مواجهة الانفتاح على الاتجاهات الحديثة (الحموي، ١٩٩٥، ج٤، ص ٤١٤).كما سلطت دراسة خليفة (١٩٤١) الضوء على أهمية الخط العربي والزخارف الإسلامية في بناء الهوية الفنية العراقية، معتبرة أن إعادة صياغة هذه الرموز ضمن أعمال فنية معاصرة يعزز من الخصوصية الثقافية ويتيح للأعمال الفنية العراقية تميزاً في المشهد الفني العربي والدولي (خليفة، ١٩٤١، ج٢، ص ١٧–٢٠).ويمكن القول إن الدراسات السابقة اتفقت على أن الفن التشكيلي العراقي استطاع أن يحافظ على هويته الثقافية من خلال الاستفادة من التراث الحضاري والموروث الشعبي والخط العربي والرموز المحلية، مع دمج هذه العناصر في أساليب تشكيلية حديثة تعكس روح المعاصرة، وتبرز البعد الوطني والثقافي للأعمال الفنية. كما أشارت هذه الدراسات إلى أن الفن التشكيلي يشكل وسيلة فعالة لترسيخ الانتماء الثقافي والحفاظ على الذاكرة الحضارية، وهو ما يمثل ركيزة أساسية لفهم التجربة الفنية العراقية المعاصرة.وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسات شكلت قاعدة معرفية هامة لتحديد منهجية البحث الحالية، من خلال اختيار نماذج أعمال فنية تمثل تجليات الهوية الثقافية، وتحليل الرموز البصرية والدلالات الجمالية والفكرية التي تحملها هذه الأعمال، بما يسهم في إثراء المعرفة حول الفن التشكيلي العراقي ودوره في تعزيز الهوية الثقافية الوطنية.

الإطار النظري

أمفهوم الهوية الثقافية

تعرف الهوية الثقافية بأنها مجموعة السمات والقيم والمعتقدات والرموز التي تميز مجتمعاً عن غيره، وتشمل العناصر التاريخية والدينية واللغوية

والتراثية والعادات الاجتماعية، بحيث تشكل صورة متكاملة عن شخصية المجتمع وهويته الفريدة. وتتكون الهوية عبر تراكم الخبرات التاريخية، والتفاعل مع البيئات المحيطة، ونقل القيم الثقافية من جيل إلى آخر، ما يجعلها عنصرًا متغيرًا وديناميكيًا يتأثر بالتحولات الاجتماعية والسياسية والفكرية المختلفة، مع المحافظة على الجذور الأساسية التي تحدد سمات المجتمع وتوجهاته الثقافية (الدليمي، ٢٠١٠، ص ٦١)وفي السياق الفني، تشكل الهوية الثقافية إطارًا مرجعياً أساسياً للفنان، حيث يستمد الفنان من هذا الإطار رموزه وأدواته وأساليبه التعبيرية، ليتمكن من تقديم أعمال تعكس خصوصية المجتمع الذي ينتمي إليه وتعبر عن قيمه ومعتقداته. فالعمل الفني ليس مجرد تجميع عناصر بصرية أو تشكيلية، بل هو وسيلة لنقل الثقافة وإبراز هويتها عبر الألوان والأشكال والرموز المستخدمة في اللوحة أو النحت أو أي نوع آخر من التعبير الفني (الصكر، ١٩٩٧، ص ٣٣).تتيح الهوية الثقافية للفنان مساحة واسعة للابتكار ضمن إطار متجذر بالتراث، مما يمكنه من إعادة صياغة الرموز التقليدية بأساليب معاصرة تعكس التفاعل بين الأصالة والحداثة. كما تساهم الهوية الثقافية في توجيه القراء والمشاهدين إلى فهم أعمق لمعاني العمل الفني، حيث تتحول العناصر الشكلية البسيطة إلى رموز تحمل دلالات اجتماعية وتاريخية وروحية. في هذا السياق، يصبح الفن وسيلة للتواصل بين الماضي والحاضر، كما يتيح للفنان التعبير عن القضايا الوطنية والإنسانية من خلال لغة بصرية متفردة (الدليمي، ٢٠١٠، ص ٦١).

وعلى هذا الأساس، تلعب الهوية الثقافية دوراً محورياً في تشكيل التجربة الإبداعية للفنان، فهي تحدد المعايير الجمالية والأساليب التعبيرية التي يمكن تبنيها، كما تمنحه القدرة على دمج الرموز المحلية والتقنيات الحديثة لإنتاج عمل فني متكامل يحمل بصمة المجتمع. إن إدراك الفنان لهويته الثقافية يمكنه من التعبير عن التراث بطرق مبتكرة، مع الحفاظ على القيم الأساسية التي تربط المجتمع بماضيه الحضاري. لذلك، تعتبر دراسة الهوية الثقافية في المجال الفني ضرورة لفهم الروابط العميقة بين الفن والمجتمع، ولتقييم تأثير الثقافة على أشكال الإبداع الفني المعاصر (الصكر، ١٩٩٧، ص ٣٣).

ب- الهوية الثقافية والفن التشكيلي

يرتبط الفن التشكيلي بالهوية الثقافية ارتباطًا وثيقًا، فهو يعد لغة بصرية مستقلة قادرة على نقل الأفكار والقيم الحضارية والمعاني الرمزية للمجتمع دون الاعتماد على اللغة اللفظية التقليدية. فالعمل الفني يمثل تجسيدًا مرئيًا لتجارب المجتمع وثقافته، حيث يمكن للفنان التعبير عن القيم والمعتقدات والتاريخ من خلال الألوان والأشكال والرموز التشكيلية التي تحمل دلالات عميقة تتجاوز الشكل الخارجي للعمل الفني. ويعكس كل عنصر بصري في اللوحة أو النحت أو التركيب الفني مفردات الهوية الثقافية، بحيث تتحول هذه المفردات إلى رموز تشكيلية ذات بعد جمالي وفكري يمكن للجمهور تفسيره وفق معارفه وتجربته الثقافية (محمود، ٢٠٠٥، ص ٩٤).ويعتبر العمل الفني نتيجة تفاعل مستمر بين الفنان وبيئته الثقافية والاجتماعية، حيث يختار الفنان من التراث والواقع المحلي ما يعكس خصوصية المجتمع ويبرز هويته. كما أن هذا التفاعل يسمح بتحويل الموروث الثقافي إلى لغة فنية حديثة، تعبر عن القيم المجتمعية بشكل مبتكر، وتتيح للمتلقي فرصة فهم السياق التاريخي والاجتماعي وراء الرموز والتشكيلات المستخدمة في العمل الفني. ومن خلال هذا التوظيف، يصبح العمل الفني وسيلة فعالة للحفاظ على الهوية الثقافية ونقلها للأجيال القادمة (محمود، ٢٠٠٥، ص ٩٤).ويؤكد شاكر حسن آل سعيد أن الهوية في الفن لا تقتصر على النقل الحرفي للرموز التراثية، بل يجب إعادة صياغتها ضمن رؤية معاصرة تمنحها بعدًا إنسانيًا وجماليًا جديدًا، بحيث تتجاوز الوظيفة الشكلية التقليدية للرمز لتصبح وسيلة للتعبير عن التجربة الثقافية والفكرية للمجتمع. ويرى آل سعيد أن إعادة صياغة الرموز التراثية بطرق مبتكرة تسمح للفنان بالتواصل مع الجمهور المعاصر بطريقة تتماشى مع الحداثة، وفي الوقت ذاته تحافظ على جوهر الهوية الثقافية (آل سعيد، ١٩٨٩، ص ١٩)ومن هنا يتضح أن الفن التشكيلي يمثل أداة مركزية لفهم الهوية الثقافية، فهو يعكس قيم المجتمع ومعتقداته، ويتيح للفنان والمشاهد على حد سواء فرصة استكشاف المعاني العميقة للتراث والحاضر. كما يبرز دور الفنان كوسيط بين الماضي والحاضر، حيث يمكنه تحويل الرموز التاريخية والثقافية إلى لغة تشكيلية معاصرة، تحمل رسائل جمالية وفكرية تعزز الوعي الثقافي والانتماء الوطني. وبذلك يصبح الفن التشكيلي عنصرًا فعالًا في صون الهوية الثقافية وتعزيز التواصل بين الأجيال المختلفة (محمود، ٢٠٠٥، ص ٩٤؛ آل سعيد، ١٩٨٩، ص ١٩).

ج- التراث ودوره في تشكيل الهوية الفنية العراقية

يعد التراث العراقي، بامتداداته الحضارية المتنوعة من حضارات سومر وبابل وآشور وصولاً إلى التراث الإسلامي والشعبي، مصدرًا غنيًا للإلهام الفني، إذ يمثل رصيدًا ثقافيًا وفكريًا هائلًا يمكن للفنانين الاعتماد عليه لتطوير أعمالهم الفنية. فهذه الحضارات القديمة تزخر بالرموز الأسطورية والكتابات المسمارية والزخارف المعمارية والخط العربي، التي يمكن إعادة توظيفها كعناصر تشكيلية تحمل دلالات ثقافية وفنية عميقة. وقد استفاد الفنانون العراقيون من هذه الموروثات، فأدمجوها في أعمالهم بأساليب متنوعة، سواء في النحت أو التصوير أو الفنون الزخرفية، لتكون أداة تعبيرية

تعكس الهوية الثقافية وتبرز الخصوصية العراقية في المشهد الفني المعاصر (قاسم، ٢٠٠١، ص ٤٧)ولا يقتصر دور التراث في الأعمال الفنية على الجانب الشكلي أو الزخرفي فقط، بل يمتد إلى استحضار القيم الفكرية والروحية المرتبطة به. فكل رمز أو زخرفة يحمل معه معانٍ تاريخية وثقافية وروحية تعكس تجربة المجتمع العراقي على مر العصور، مما يمنح العمل الفني عمقًا دلاليًا وفكريًا يتجاوز المظهر الخارجي. ويساهم استحضار التراث في تعزيز الوعي الثقافي لدى الجمهور، حيث يتمكن المشاهد من إدراك الروابط بين الماضي والحاضر، وفهم التطورات التي مرت بها الهوية العراقية عبر الزمن (الدليمي، ٢٠١٠، ص ٧٠)ويتيح التراث للفنان الحرية في إعادة صياغة الرموز التقليدية وفق رؤية حديثة تتماشى مع الأساليب المعاصرة، مع الحفاظ على جوهر الهوية الثقافية. ومن خلال هذه العملية، تتحول العناصر التراثية إلى لغة تشكيلية معاصرة، تحمل رسائل جمالية وفكرية تمزج بين الأصالة والحداثة. كما أن الفن المستلهم من التراث يعكس التفاعل الديناميكي بين القيم الثقافية والتطورات الاجتماعية والسياسية، ما يمنح العمل الفني بعدًا إنسانيًا شاملاً يتجاوز مجرد التعبير البصري إلى نقل تجربة ثقافية متكاملة.وعلاوة على ذلك، فإن توظيف التراث يعزز الانتماء الوطني والهوية الجماعية، حيث يجد المشاهد في الرموز التقليدية إشارات مألوفة ترتبط بتاريخ المجتمع وحضارته. وبذلك، يصبح التراث العراقي عنصراً محوريًا في تشكيل لغة فنية قادرة على التعبير عن الذات الثقافية بشكل متجدد ومستمر، ويؤكد الدور الحيوي للفن في صون التراث ونقله للأجيال الحديثة، مع إضافة بعد جديد من الإبداع والابتكار الفني (قاسم، ٢٠٠١، ص ٤٧؛ الدليمي، ٢٠١٠، ص ٧٠).

د- الأصالة والمعاصرة في الفن التشكيلي العراقي

واجه الفن التشكيلي العراقي تحدياً أساسياً تمثل في إيجاد توازن مناسب بين الأصالة الثقافية والمعاصرة الفنية، لا سيما مع الانفتاح المتزايد على المدارس الفنية العالمية والتي جلبت معها أساليب وتقنيات جديدة غير مألوفة في المشهد المحلي. فقد أدى هذا التفاعل مع الاتجاهات الحديثة إلى خلق إشكالية لدى الفنان العراقي حول كيفية الحفاظ على جذور هويته الثقافية الأصيلة مع الاستفادة من التجارب الفنية العالمية. ورغم هذه التحديات، تمكن العديد من الفنانين العراقيين من تحقيق توازن فني متقن، عبر دمج الأساليب الحديثة في الرسم والنحت والفنون التشكيلية الأخرى مع مفردات مستمدة من التراث المحلي والعادات الثقافية، ما أفرز تجربة فنية متميزة ذات طابع خاص يعكس الهوية الوطنية بطريقة معاصرة (قاسم، ٢٠٠١، ص ٥٢)ويعكس هذا التوازن قدرة الفنان العراقي على الابتكار، حيث يتمكن من إعادة صياغة الرموز التراثية والأشكال التقليدية ضمن لغة تشكيلية حديثة، دون أن يفقد العمل الفني جوهره الثقافي. فالتراث والخبرة المحلية يصبحان أداة للإبداع، بينما توفر الأساليب الحديثة إمكانيات تقنية وتعبيرية توسع نطاق التجربة الفنية. وبذلك، يمكن القول إن الفن التشكيلي العراقي المعاصر هو نتاج حوار مستمر بين الماضي والحاضر، بين الأصالة والحداثة، وهو ما يمنحه قيمة فنية وثقافية متميزة تعكس خصوصية المجتمع العراقي (قاسم، ٢٠٠١، ص ٥٢)ويرى الصكر أن المعاصرة الحقيقية في الفن لا تتحقق إلا من خلال وعي الفنان العميق بهويته الثقافية، وفهمه لطبيعة الرموز والقيم التي ينتمي إليها، وقدرته على توظيفها ضمن خطاب فني حديث يتفاعل مع التوجهات العالمية دون أن يفقد أصالته. فالفنان الواعي بهويته يستطيع أن يخلق أعمالاً متجددة تحمل معانٍ جمالية وفكرية، وتبرز الخصوصية الثقافية في سياق معاصر، كما تمكنه من التعبير عن التغيرات الاجتماعية والسياسية بطريقة إبداعية (الصكر، ١٩٩٧، ص ٤١)وعلاوة على ذلك، فإن هذه القدرة على الموازنة بين الأصالة والمعاصرة تعكس نضج التجربة الفنية العراقية، حيث تتيح للفنان حرية الابتكار والتجريب ضمن إطار ثقافي محدد. كما تساهم في تعزيز الانتماء الوطني من خلال الأعمال الفنية، إذ يشعر المشاهد بارتباط العمل الفني بهويته وتاريخه، مما يعزز التواصل بين المجتمع والفنان. ومن هنا، يصبح الفن التشكيلي العراقي وسيلة حيوية للحفاظ على التراث الثقافي وإعادة صياغته في سياق معاصر يعكس التطورات الفنية والفكرية في المجتمع العراقي (قاسم، ٢٠٠١، ص ٥٢؛ الصكر، ١٩٩٧، ص ٤١).

٤. المبحث التحليلي للأعمال الفنية

أ- تحليل نماذج من أعمال جواد سليم

يعد جواد سليم من أبرز رواد الفن التشكيلي العراقي، وله مكانة متميزة في تاريخ الفن العراقي الحديث، حيث تمكن من صياغة رؤية فنية متجددة تجمع بين التراث الحضاري والحداثة الفنية. وقد تجلت الهوية الثقافية في أعماله بوضوح من خلال استلهام الرموز الحضارية العراقية القديمة، بما فيها الإشارات إلى حضارات وادي الرافدين، والنقوش الأسطورية، والزخارف المسمارية، التي أعاد تفسيرها بأسلوب معاصر. في أعماله النحتية والتصويرية، تتضح ملامح الإنسان الرافديني بأسلوب يجمع بين البساطة الشكلية والعمق الرمزي، ليعكس التوازن بين الجمالية البصرية والبعد الثقافي والفكري. ويُعد "نصب الحرية" من أبرز الأمثلة على قدرة جواد سليم على توظيف الرموز التاريخية بطريقة حديثة، إذ يعكس العمل الانتماء

الوطني ويجسد الذاكرة الجماعية للشعب العراقي، كما يبرز الروح البطولية للمجتمع عبر شكل تعبيري متقن ومتوازن. كما أن أسلوبه في النحت لم يقتصر على التقليد، بل تطلب مهارات فنية عالية للتوفيق بين الموضوع التراثي واللغة الحديثة للتعبير الفني، مما جعله أحد الأعمال الرائدة التي جمعت بين الأصالة والإبداع الفني. وعلاوة على ذلك، فقد استطاع جواد سليم أن يمنح شخصياته النحتية بعدًا إنسانيًا عميقًا، حيث تتسم بملامحها الواقعية وبأحاسيسها الرمزية، ما يجعل المشاهد يتفاعل معها ويستشعر القيم الثقافية والروحية المتجسدة في المجتمع العراقي. إن استخدامه للتقنيات الحديثة في النحت مع الحفاظ على عناصر التراث جعل أعماله مرجعاً أساسياً لفهم الهوية الثقافية العراقية في الفن التشكيلي، كما أرسى قواعد التجديد الفني الذي يجمع بين التاريخ والحداثة في سياق محلي متجذر (قاسم، ٢٠٠١، ص ٦٨).

شكل (١): جواد سليم، نصب الحرية، بغداد

*المصدر: أرشيف الفن التشكيلي العراقي

يتجلى حضور الهوية الثقافية في أعمال جواد سليم من خلال استلهامه الرموز الحضارية والبعد الإنساني للإنسان الرافديني، ويُعد نصب الحرية نموذجًا بارزًا يجمع بين التعبير الحداثي والمضمون الوطني، معتمدًا على الرمز التاريخي بوصفه محكًا بصريًا للذاكرة الجماعية العراقية.

ب- **تحليل نماذج من أعمال شاكر حسن آل سعيد**

تميزت تجربة الفنان شاكر حسن آل سعيد بالتركيز العميق على البعد الروحي والفلسفي للهوية الثقافية في الفن التشكيلي العراقي، حيث اعتمد على عناصر متعددة مستمدة من التراث الحضاري والفني المحلي، وأعاد صياغتها ضمن فضاءات تجريدية مبتكرة. وقد أتاح توظيفه للخط العربي والرموز الصوفية في أعماله إمكانية خلق حوار بصري متواصل بين الرموز الثقافية والمعاني الروحية، ما أكسب أعماله بعدًا تأمليًا يتجاوز المظهر الجمالي ليصل إلى العمق الفكري والثقافي للمجتمع العراقي. لقد حول شاكر حسن آل سعيد الحرف العربي في أعماله إلى عنصر بصري مستقل، يملك القدرة على التعبير عن الهوية الثقافية ومفرداتها الرمزية، بحيث لم يعد مجرد وسيلة لغوية، بل رمزًا يحمل دلالات ثقافية عميقة مرتبطة بالتراث والتاريخ والروحانية. كما استخدم التكرار والتوزيع الهندسي للعناصر التشكيلية لإضفاء إيقاع بصري يجعل المشاهد يتفاعل مع اللوحة أو العمل الفني بطريقة تأملية، ويستشعر القيم الروحية والجمالية المرتبطة بالخط العربي والتراث الثقافي. وقد ساهم هذا النهج في منح أعماله طابعًا مميزًا يجمع بين التجريد والرمزية والعمق الفلسفي، كما أتاح له القدرة على ربط الهوية الثقافية بالخبرة الإنسانية العامة، ما يجعل العمل الفني ليس مجرد إنتاج بصري بل تجربة متكاملة تحاكي الفكر والروح معًا. ويُعد التركيز على الرموز الصوفية في فضاءاته التجريدية مثالاً على وعيه العميق بمكونات التراث العراقي، وقدرته على دمجها بأسلوب حديث يعكس أصالة الهوية الثقافية في سياق معاصر. كما أظهرت أعماله قدرة فائقة على المزج بين الخط العربي والموروث الشعبي والرموز الحضارية، مما جعلها مرجعاً هاماً لدراسة الهوية الثقافية في الفن التشكيلي العراقي، وأحد أبرز النماذج التي تثبت إمكانية الجمع بين التراث والحداثة في لغة تشكيلية متطورة. وقد أبرز هذا الأسلوب الجديد كيف يمكن للفن أن يكون وسيطًا لنقل القيم الثقافية والفكرية، مع الحفاظ على الخصوصية الوطنية والهوية العراقية في الوقت ذاته (آل سعيد، ١٩٨٩، ص ٢٣).

شكل (٢): شاكر حسن ال سعيد،"كتابات على الجدار "، بغداد

*المصدر: أرشيف الفن التشكيلي العراقي

يتجلى حضور الهوية الثقافية في عمل كتابات على الجدار من خلال استحضاره للرموز التاريخية والاجتماعية للعراق، حيث يدمج بين التجريب الحداثي والمضمون الوطني، معتمدًا على الجدار كمساحة للتعبير البصري تُسجل الذاكرة الجماعية وتعكس الهموم الإنسانية للمجتمع العراقي.

ج- تحليل نماذج من أعمال نزيهة سليم

عكست أعمال الفنانة نزيهة سليم الهوية الثقافية العراقية بشكل واضح من خلال تناولها لمظاهر الحياة اليومية والبيئة الشعبية، مع التركيز على تصوير جوانب محددة من المجتمع العراقي، ولا سيما صورة المرأة العراقية بوصفها رمزاً للهوية الاجتماعية والثقافية. وقد اعتمدت الفنانة أسلوباً تعبيرياً بسيطاً يجمع بين الوضوح والبساطة في الشكل، مع استخدام ألوان مستمدة من البيئة المحلية، تعكس طبيعة البيئة العراقية وروحها الثقافية. لقد منحت هذه الأساليب أعمالها طابعاً إنسانياً عميقاً، حيث تمكنت من نقل المشاعر والتجارب اليومية للمجتمع العراقي بأسلوب مرن وسلس، يجعل المشاهد يتفاعل مع اللوحة على مستوى شخصي وثقافي في الوقت نفسه. كما استخدمت نزيهة سليم الرموز الشعبية والعادات الاجتماعية في تشكيل عناصر أعمالها، بحيث تتحول التفاصيل الصغيرة إلى وسيلة للتعبير عن الخصوصية الثقافية والهوية الوطنية، مع الحفاظ على الطابع الجمالي للفن التشكيلي. وتتسم أعمالها بالقدرة على المزج بين الواقعية والتعبيرية، بحيث تقدم مشهداً حيوياً يوضح طبيعة الحياة اليومية، مع إضفاء بعد ثقافي وإنساني يعكس عمق التجربة الاجتماعية. كما أن تصوير المرأة العراقية في أعمالها لا يقتصر على الشكل الخارجي، بل يشمل رموزاً مرتبطة بالدور الاجتماعي والثقافي للمرأة في المجتمع، مما يعكس احترامها للتاريخ والتراث المحلي. وقد ساهمت هذه المقاربة الفنية في تعزيز حضور الهوية الثقافية العراقية في المشهد الفني المعاصر، إذ تمكنت الفنانة من الحفاظ على الخصوصية الوطنية عبر تصوير البيئة المحلية بطريقة مبتكرة، مع منح العمل الفني قدرة على التواصل مع الجمهور محلياً وعالمياً. وتعد أعمالها مثالاً بارزاً على قدرة الفنانة العراقية على الجمع بين التراث الشعبي والمعاصرة الفنية، لتقديم تجربة فنية متكاملة تعكس الحياة اليومية، القيم الثقافية، والانتماء الوطني في الوقت ذاته (الدليمي، ٢٠١٠، ص ٧٤).

شكل (٣): نزيهة سليم، لوحة المرأة العراقية، بغداد

*المصدر: أرشيف الفن التشكيلي العراقي

يتجلى حضور الهوية الثقافية في أعمال نزيهة سليم من خلال تصويرها للمرأة العراقية ورمزياتها المجتمعية، حيث تجمع لوحاتها بين الحس الحداثي والانتماء الوطني، معتمدة على التعبير البصري للواقع الاجتماعي بوصفه محكًا يبرز ذاكرة المجتمع العراقي وهويته الثقافية.

٥- نتائج التحليل

أظهرت التحليلات أن الفنانين العراقيين استطاعوا توظيف مفردات الهوية الثقافية بطرائق متعددة ،شملت الرمز الحضاري ،والحرف العربي ، والموروث الشعبي ،مع الحفاظ على لغة تشكيلية معاصرة .وأسهم هذا التوظيف في تعزيز الخصوصية الفنية للفن التشكيلي العراقي وترسيخ حضوره على المستويين العربي والعالمي توصل البحث إلى مجموعة من النتائج ،من أبرزها:

١. أن الهوية الثقافية تعد عنصراً أساسياً في بناء العمل التشكيلي العراقي ،وأسهمت في منحه خصوصية فنية مميزة.
٢. اعتمد الفنانون العراقيون على التراث الحضاري والشعبي بوصفه مصدراً غنياً للرموز والدلالات الجمالية.
٣. شكل الحرف العربي والزخارف الإسلامية أحد أهم مظاهر تجلّي الهوية الثقافية في الفن التشكيلي العراقي المعاصر.
٤. نجح العديد من الفنانين العراقيين في تحقيق توازن فني بين الأصالة الثقافية ومتطلبات الحداثة.
٥. أسهم الفن التشكيلي العراقي في الحفاظ على الذاكرة الثقافية وتعزيز الشعور بالانتماء الوطني.
٦. تنوعت أساليب التعبير عن الهوية الثقافية بين الواقعية والتجريد والرمزية ،بما يعكس ثراء التجربة الفنية العراقية.

٦.التوصيات

في ضوء نتائج البحث ،يوصي الباحث بما يأتي:
١. الاهتمام بدراسة الهوية الثقافية في الفن التشكيلي العراقي ضمن المناهج الأكاديمية للتربية الفنية.
٢. تشجيع الباحثين على إجراء دراسات تحليلية أعمق لأعمال الفنانين العراقيين وربطها بالسياق الثقافي والاجتماعي.
٣. دعم المؤسسات الثقافية والفنية للفنانين الذين يسهمون في ترسيخ الهوية الثقافية من خلال أعمالهم.
٤. تعزيز توظيف التراث والرموز الثقافية في الأعمال الفنية المعاصرة بأساليب إبداعية حديثة.
٥. إقامة معارض فنية وبحوث نقدية تسلط الضوء على الهوية الثقافية في الفن التشكيلي العراقي.
٦. الإفادة من التجربة العراقية في مجال الهوية الثقافية عند إعداد برامج التربية الفنية في المدارس والجامعات.

الخاتمة

تناول هذا البحث موضوع الهوية الثقافية في الفن التشكيلي العراقي ،بوصفها أحد المرتكزات الأساسية في تشكيل الخطاب الفني العراقي المعاصر . وقد سعى البحث إلى الكشف عن كيفية تجلي الهوية الثقافية في الأعمال التشكيلية من خلال تحليل نماذج مختارة لعدد من الفنانين العراقيين ،مع التركيز على دور التراث الحضاري ،والموروث الشعبي ،والحرف العربي ،والرموز المحلية في بناء العمل الفني. وأظهرت الدراسة أن الفن التشكيلي العراقي لم يكن انعكاساً شكلياً للتراث ،بل مثل عملية إبداعية واعية أعادت صياغة مفردات الهوية ضمن رؤى فنية معاصرة ،أسهمت في الحفاظ على الخصوصية الثقافية في ظل التحولات الفنية العالمية .كما أكدت الدراسة أن الهوية الثقافية تشكل عنصراً فاعلاً في تعزيز الانتماء والذاكرة الحضارية ،وأن الفنان العراقي أدّى دوراً مهماً في توثيق الواقع الاجتماعي والثقافي عبر التعبير البصري . وبذلك ،يبرز الفن التشكيلي العراقي كحقل معرفي وجمالي قادر على الجمع بين الأصالة والمعاصرة في آنٍ واحد.

المصادر العربية

١. آل سعيد، شاكر حسن .(1989) .*الفن التشكيلي العراقي: من التراث إلى المعاصرة* .بغداد: دار الثقافة العربية.
٢. آل سعيد، شاكر حسن .(1989) .*الفن والهوية* .بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
٣. الحموي، عبد الرحمن .(1995) .*الفن التشكيلي العراقي والتراث الشعبي* .بيروت: دار النهضة العربية.
٤. الصكر، حسن .(1997) .*الفن التشكيلي والهوية الثقافية* .بغداد: دار المعرفة.
٥. الصكر، حاتم .(1997) .*الفن والذاكرة الثقافية* .بغداد: دار المدى.
٦. خليفة، محمد .(1941) .*دراسة حول الخط العربي والزخارف الإسلامية في الفن العراقي* .القاهرة: دار الكتب.
٧. قاسم، عبد الله .(2001) .*الفن التشكيلي العراقي: التراث والحداثة* .بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
٨. قاسم، عادل كامل .(2001) .*الفن التشكيلي العراقي المعاصر: إشكاليات الحداثة والهوية* .بغداد: وزارة الثقافة.
٩. الدليمي، أحمد .(2010) .*الفن التشكيلي العراقي ودوره في ترسيخ الهوية الثقافية* .بغداد: دار الرشاد.
١٠. الدليمي، عبد الجبار .(2010) .*جماليات التشكيل العربي المعاصر* .عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
١١. محمود، علي .(2005) .*النحت العراقي المعاصر* .بغداد: دار الفنون.
١٢. محمود، نزار .(2005) .*التراث والحداثة في الفن العربي* .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المصادر الأجنبية

1.Behrens, R. R. (1994). *Art, Culture, and Identity in the Middle East*. London: Saqi Books.

2.Gombrich, E. H. (2000). *The Story of Art* (16th ed.). London: Phaidon Press.
3.Kassab, E. (2011). *Iraqi Art: Tradition and Modernity*. London: I.B. Tauris.
4.Nochlin, L. (1989). *The Politics of Vision: Essays on 20th-Century Art and Society*. New York: Harper & Row.
5.Shabout, N. (2007). *Modern Arab Art: Formation of Arab Aesthetics*. University Press of Florida.